رؤية جغرافية للأبعاد المكانية في أعمال ومناسك الحج

د. صلاح عبد الجابر عيسى

مقدمة :

تعد دراسة النظم والعلاقات المكانية للأماكن المقدسة من المباحث الهامة في جغرافية الأديان (١) . وفريضة الحج أحد الأركان الخمسة للدين الأسلامي ، وهي أكثرها ارتباطاً في أدائها بالمكان. فالحج لغة هو القصد إلى مُعظَّم ، وشرعاً هو أعمال مخصوصة تؤدى في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص (٢) . وقد حدد كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام تلك الأعمال وهيئاتها ومكانها وزمانها. فالمكان المقصود هو بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، قال تعالى : «ولله على الناسِ حجُّ البيتِ من استطاعَ إليهِ سبيلا» (٣) «ويَذْكُروا اسمَ اللهِ في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بَهيمةِ الأنعام) (٤) . والزمان هو شهور شوال وذو القعدة ، وعشرة أيام من ذي الحجة. أما أعمال الحاج فتُصَنَّف في الفقه الإسلامي إلى عدة فئات (٥) أهمها ثلاثة حسب حُكْمها الشرعي ، فمنها الأركان ، وهي ما لا يصح الحج إلا بها ، ومنها الواجبات ، ويصح الحج بدونها ولكن مع جبرها بكفارة ، ومنها السنن التي يعظم ثواب الحج بإتيانها ولكن لا يَبْطُل بتركها. ولكلٍ من أعمال الحج مكانه وزمانه. ويطلق على أعمال الحج المخصوصة في الفقه النُسُك أو الشعائر ، أما المناسك أو المشاعر فهي لغةً أماكن أدائها ، وإن كان الفقهاء يستخدمونها للدلالة على النُسُكِ ومكانه.

وأكثر أعمال ونسك الحج ارتباطاً بالمكان، الإحرام، الطواف بالبيت، السعي بين الصفا والمروة، الوقوف بعرفة، ذكر الله عند المشعر الحرام بمزدلفة، رمي الجمرات والنحر والمبيت بِمِنًى، وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ٭.

وتركز الدراسة الحالية على الأبعاد أو الجوانب المكانية المتصلة بتلك الأعمال والمناسك في محاولة لفهم وتفسير نظامها، وهي تصدر في ذلك عن منطلقين:

١ـ تحديد أعمال ومناسك الحج في الكيفية والزمان والمكان أمور تعبدية توقيفية يلزم في النظر إليها الوقوف عند النص الشرعي وعدم تجاوزه بالتأويل أو التزيد.
٢ـ إننا المسلمين مطالبون بتفهم تلك المناسك التي دعا إبراهيم الخليل عليه السلام ربَّه أن يريه إياها ويوضحها له ولذريته «وأَرِناَ مناسِكَناَ»(٦) حتى يعبدوا الله على بصيرة، وقد يُعينُ هذا التفهم على أن يستجلى المسلم بعض الحكمة في تلك المناسك، ويعايش تعبدها معايشة الواعي أسرارها»(٧) .

وعلى هذا فرؤيتنا الجغرافية للمناسك رؤية شارحة، فهي تستند إلى النصوص الشرعية، في تحديد الأبعاد المكانية للمناسك، ثم تحاول أن تشرح وتفسر تلك الأبعاد من خلال مَحَكَّين جغرافيين:

١ـ هيئة أو نظام المكان
٢ـ وظيفة المكان، ثم انسجام تلك الوظيفة مع الهيئة

وسوف نرتب معالجة الأبعاد المكانية في عدة عناصر تتفق مع الترتيب والتجمع الموقعي لتلك الأعمال والمناسك في المكان، وذلك على النحو التالي:

- النظام المكاني العام لأعمال ومناسك الحج.
- مواقيت الإحرام المكانية.
- حدود الحرم المكي.
- محور المناسك.

أولاً: النظام المكاني العام لأعمال ومناسك الحج:

تدور أعمال نسك الحج إلى بيت الله الحرام داخل إطارٍ لحيِّزٍ أرضي تقع فيه المناسك، ويجب على من يدخل إلى هذا الحيز المكاني قاصداً الحج أو العمرة أن يلتزم بسلوكيات وآداب معينة، حددها الفقه الإسلامي فيما يعرف بالإحرام وآدابه، كما تتوزع المشاعر التي ترتبط بها أعمال الحج في قلب هذا الحيز، ولكل منها درجة معينة من الحُرُمَة أو القداسة وأعمال تعبدية خاصة، ونطاق مكاني مُمَيَّز يختص بتلك الحرمة وتلك الوظيفة التعبدية. وقد سجل الفقهاء ذلك التميز المكاني والوظيفي لحيز الإحرام أو ما يسميه بعضهم بالحَرَم ويذكر له ثلاثة حدود متدرجة من الخارج إلى الداخل(٨) :

الحد الأول هو مواقيت الإحرام، والحد الثاني أنصاب الحرم والثالث هو المسجد الحرام.

ومن تتبع التوزيع المكاني لهذه الحدود والنطاقات الواقعة بينها والمناسك المرتبطة بها يلاحظ، أنها جميعا تشكل نظاماً مكانياً مميزاً من النطاقات المقدسة المتباينة في حرمتها، والتي يختص كل منها بوظيفة تعبدية خاصة، أو بأعمال معينة للحج أو العمرة، ويتألف هذا النظام من النطاقات أو العناصر التالية: والتي يمكن إبراز توزعها في نموذج خطي (شكل ١).

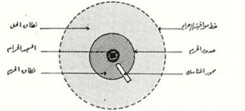

نموذج خطي للنطاقات المكانية لأعمال الحج

شكل (١)

(أ) المسجد الحرام:

وهو يمثل قمة وبؤرة هذا النظام، وتتوسطه الكعبة المشرفة التي تُختص بالطواف حولها، والمقررُ فِقْهاً أن الطواف لا يصح خارج المسجد الحرام، كما لا يصح بدون الطهارة الكاملة للطائفين. وللكعبة المشرفة أربعة أركان هي: ركن الحَجَر جهة الجنوب الشرقي، والركن اليماني جهة الجنوب الغربي، والركن الشامي من جهة الشمال الغربي، والركن العراقي جهة الشمال الشرقي، فضلاً عن ركن حائط الحطيم الذي يحيط بحِجْرِ إسماعيل فيما بين الشامي والعراقي، وكان الركنان الأول والثاني يسميان باليمنيين والثالث والرابع بالشاميين. وركن الحَجَر أشرف الأركان، ومنه يبدأ الطواف لأنه أثبتها على قواعدها الإبراهيمية⁽⁹⁾، وتقع الكعبة والمسجد الحرام في بطن وادي إبراهيم، وقد جرت توسعات متتابعة للمسجد حتى أصبحت مساحته الحالية ٧٥.٠٠٠ متر^{٢} ⁽¹⁰⁾.

ويجاور المسجد ويلتحم به المسعى بين الصفا والمروة * في مسافة نحو ٤٩٠ متراً فيما بين قدم جبل أبى قبيس (الصفا) وقدم جبل قُعَيْقِعَان (المروة)، والأول مبدأ السعي، ويواجه ركن الحجر. وفِقْهاً يصح السعي بدون طهارة الساعِين.

(ب) نطاق الحَرَم:

ويحيط بالمسجد الحرام ويحتويه، ويحده من الخارج مجموعة من الأنصاب (العلامات)، وقد جعله الله تعالى حرماً آمنا لكل من فيه وما فيه «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جعلنا حَرَماً آمناً ويُتَخَطَّفُ الناسُ من حَوْلِهم ⁽¹¹⁾ »، وجعل تلك الحرمة دائمة ومطلقة لذات المكان، يلتزم بها حاضروه ـ أي المقيمون فيه إقامة دائمة ـ والوافدون إليه للحج والعمرة. ومن خصوصيات نطاق الحرم أنه لا يدخله غيرِ المسلمين، ويَحْرُمُ قَتْلُ صيدِ بَرِّهِ وقطعُ شجرِهِ وحشيشِهِ الرطب، كما يضاعف فيه ثواب الطاعة وعقاب المعصية، إلى غير ذلك مما فصَّلته كتب الفقه الإسلامي.

(ج) نطاق الحِلِّ :

ويقع خارج النطاق السابق فيما وراء أنصاب الحرم حتى مواقيت الإحرام، وليس لهذا النطاق حُرْمة ذاتية كالتي لنطاق الحرم، إذ يجوز قطعُ شجرِهِ وحشيشِهِ، وكذلك دخول غير

المسلمين إليه، ويَحِل صيدُ برِّهِ لغير المُحْرِمِ بالحج أو العمرة. ولكن لا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة ممن يسكنون خارج ذلك النطاق أن يدخله، وصولاً إلى الحرم والمسجد الحرام من غير أن يُحْرِمِ، ولا بد لمن أراد العمرة من أهل الحرم أن يخرج إلى نطاق الحل ليبدأ الدخول في الإحرام. أي أن نطاق الحل هذا نطاق انتقالي بين الحل المطلق والحرم المطلق، فلا ينتقل من أحدهما إلى الآخر مباشرة، وهو بمعنى آخر ـ يجمع بين طبيعتين أو صفتين، الحُرْمَةُ والحِلُّ، وتتحدد حُرْمته وعدمُها بحسب حالة من يَمُرُّ فيه من المسلمين، فهو نطاق حِلٍّ لغير المُحْرِمِ، ونطاق إحرام (يكتسب بعض خصائص الحَرَم) بالنسبة للمُحْرِمِ بالحج أو العمرة.

(د) **محور المناسك**:

وهو لا يمثل نطاقاً دائرياً كسابقيه، بل يتخذ شكل المحور الممتد من الشمال الغربي (حيث المسجد الحرام) إلى الجنوب الشرقي (صوب الطائف) ويقطع في امتداده نطاقي الحرم والحل، أي أن بعض قطاعاته تمتد في نطاق الحرم، وبعضها الآخر في نطاق الحل، وينتظم هذا المحور المناسك التي تختص ببعض أعمال الحج دون العمرة، وهي مِنَى ومُزْدَلَفَة وعَرَفَة. ذلك أن أعمال العمرة تتم كلها في النطاق الأول (المسجد الحرام والمسعى).

ويمكن أن نبرز للنظام المكاني السابق الخصائص التالية:

- إنه نظام بؤرى إشعاعي حلقي في آن واحد، فبؤريته تتأكد من تَوَجُّهِ القصد إليه والتعبد داخله صوب مركز متوسط أو قبلة هي الكعبة المشرفة، بينما تتمثل الإشعاعية في حركة الإياب لقاصدي البيت إلى الفجاج التي أتوا منها من حوله، وتمثل الحركةُ التعبدية في محور المناسكِ البؤريةَ والإشعاعيةَ معاً، أما الحلقية فيؤكدها تتابع النطاقات التي يحيط كل منها إحاطة كاملة بالنطاق الواقع داخله ـ مع الوضع المتميز لمحور المناسك.
- هناك تدرج في الحرمة ودرجة القداسة وبالتالي الالتزامات الشرعية والتعبدية، وذلك من بؤرة هذا النظام إلى نطاقاته الخارجية، والقاعدة أن الداخل أكثر حرمة وقداسة من الخارج، ومن شواهد ذلك اشتراط الوضوء لصحة الطواف حول البيت، مع عدم اشتراطه في السعي أو في بقية المناسك، وحرمة قطع حشيش الحرم مع جوازه في الحِل

لغير المُحْرِم، وانتفاء كل هذه المحظورات خارج مواقيت الإحرام. ومن أهم الشواهد أيضاً مضاعفة ثواب العبادة داخل الحرم عنه في خارجه.

- يجسد النظامُ التخصصَ النطاقي والانتقالية النطاقية معاً، فلكل نطاق وظائف تعبدية وأعمال معينة للحج أو العمرة، وهي تتدرج في أهميتها – كما سبق – من الداخل إلى الخارج، بحيث يمثل اجتياز تلك النطاقات من الخارج إلى الداخل ترقياً بين مراتب أكثر تخصصاً في الحرمة والعبادة، فالانتقال المادي بين النطاقات يقابله ترق روحي للحاج، ومن هنا كانت أهمية وجود النطاق الانتقالي المادي (نطاق الحل) بين نطاقي الحرم المطلق والحل المطلق، حتى لا يكون الانتقال فيما بينهما مفاجئاً لم تتهيأ له الأرواح تهيئاً كاملاً. وإذا كانت الحكمة الإلهية قد هيأت الخصائص السابقة – وغيرها مما لا يعلمه إلا الله – للنظام المكاني لأعمال ومناسك الحج، فإنها قضت أيضاً بألا تكون نطاقات النظام السابق دائرية تماماً كما في النموذج الخطي، ولكل أمر حكمة كما سنرى في عرض بقية العناصر.

ثانيا: مواقيت الإحرام المكانية:

المواقيت المكانية للإحرام مواضع على مسافات من مكة حددت في الشرع ليبدأ عندها – وُجُوبا – الدخولُ في الإحرام لكل قادم إلى مكة المكرمة بقصد الحج أو العمرة ممن يقطنون خارج تلك المواقيت، وهي بمعنى آخر علامات مكانية على الحدود الخارجية لنطاق الحل سابق الذكر.

وقد عَيَّنَ رسولنا صلى الله عليه وسلم تلك المواقيت على أهم المسالك المؤدية إلى مكة، وجعل كلا منها مَهَلاً بالإحرام لأهلها، ولمن يأتي عليها من أهل البلاد الواقعة فيما وراءها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم وَقَّتَ لأهل المدينةِ ذا الحُلَيْفَة، ولأهل الشامِ الجُحْفَةَ، ولأهل نجدٍ قَرْنَ المنازل، ولأهل اليمنِ يَلَمْلَم، وقال هُنَّ لهم ولكل آت عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة(١٢). وفي أحاديث متواترة عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وعائشة رضي الله عنهم، أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت لأهل العراق ذات عِرْق(١٣).

فالمواقيت المكانية المحددة شرعاً خمسة، جمعها بعض الفقهاء في بيتين(١٤).

عِـرْقُ الـعـراق يَـلَـمْـلَـمُ اليمنى   وبـذى الـحُـلَـيْـفَـةِ يحرم المدنى
لـلشام جُـحْـفَـةُ إن مـررت بها   ولأهـــل نجد قَـــرْنُ فـــاسـتبن

والمؤكد أن مواضع تلك المواقيت كانت معروفة ومميزة وقت تحديدها(١٥) ، بل إن الرسول عليه السلام أحرم من بعضها للحج وللعمرة كما في ذي الحليفة، كما عين ميقات ذات عرق بعد المرور عليه(١٦) . ونظراً لاندثار بعض مواضع المواقيت فقد حرص الفقهاء على تمييز مواضع بديلة قائمة، وقدروا المسافات بينها وبين مكة بالمراحل ° كما توسعوا في بيان الجهات التي يحرم أهلها عند كل ميقات. فبالقرب من ذي الحُليفة حددت (أبيار على) ليحرم منها أهل المدينة، وتبعد عن المدينة بنحو خمسة أميال، وعن مكة ما بين تسع إلى عشر مراحل، وبالقرب من الجحفة حددت (رابغ) ميقاتاً لأهل الشام ومصر والمغرب وكل من يأتي عن طريقها، وتبعد عن مكة بأكثر من ثلاث مراحل، وبالقرب من قرن المنازل حدد (السَّيْل الكبير) لأهل نجد، وقرب ذات عرق حددت (الضَّريبة)(١٧) ميقاتاً لأهل العراق والمشرق، وقرب يلملم أو ألَمْلَم حددت (السَّعْدية)(١٨) ميقات أهل اليمن والهند وما وراءها، وتقع المواقيت الثلاثة السابقة على بعد نحو مرحلتين من مكة(١٩) .

ويجمع الفقهاء على أن الإحرام من الميقات يصح، إمَّا بالمرور عليه فعلياً أو بمحاذاته براً أو بحراً أو جواً، فمن سلك طريقاً لا تنتهي إلى ميقات أحرم من محاذاته، وإذا حاذى ميقاتين أحرم من أقربهما إليه وأبعدهما عن مكة، وذهب البعض إلى أن من لم يحاذ ميقاتاً أحرم على مسافة مرحلتين من مكة(٢٠) .

ومما يذكر أن تحديد مسافات المواقيت عن مكة تقريبي إلى حد ما، فلم توقع مواضع المواقيت على خرائط دقيقة حتى سنوات قريبة، كما أن المسافة تشير إلى طول الطريق الموصل بين الميقات ومكة، وطبيعي أن يتأثر الطول بأي تعديل يطرأ على مسار الطريق، ومع وجود الخرائط الدقيقة يمكن قياس المسافات بين مواضع المواقيت ومكة على خط مستقيم وذلك على النحو التالي:

مسافة ميقات ذي الحليفة ٣٠٠ كم، والجحفة ١٧٥ كم، ويلملم ٨٠ كم، وذات عرق ٧٥ كم، والقرن ٧٠ كم.

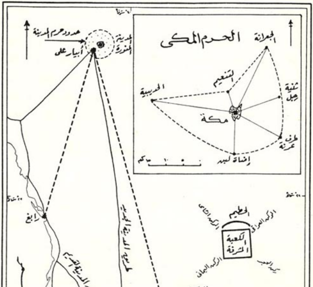

الحرم المكى
الجعرانة
التنعيم
الحديبية
ثنية جبل
مكة
طرف عرنة
إضاة لبن
١٠ ٢٠كم
حدود حرم المدينة
المدينة المنورة
أبيار على
رابغ
طريق المدينة الجديد
طريق المدينة القديم
البحر الأحمر
الحطيم
الركن الشامي
الركن العراقي
الكعبة المشرفة
الركن اليماني
ركن الحجر
إلى العراق
ذات عرق
قرن المنازل
إلى نجد
إلى نجد
الطائف
الحرم
جدة
مكة المكرمة
يلملم
إلى اليمن والهند
مواقيت الإحرام
خط نطاق المواقيت
أعلام الحرم
خط حدود الحرم
مدينة هامة
طريق برى
١٠٠كم ٧٥ ٥٠ ٢٥ ٠

وبناء على التحديد الشرعي للمواقيت المكانية، وكذلك تحليل توقيعها على الخريطة(٢١) يمكن إبراز الملاحظات التالية (انظر خريطة رقم ٢):

(أ) تقع أربعة من مواقيت الإحرام الخمسة داخل البر (مواقيت داخلية)، بينما يقع ميقات واحد هو الجُحْفة أو رابغ قرب الساحل (ميقات ساحلي)، وتتناسب هذه الغلبة للمواقيت البرية مع الموقع الداخلي تقريبا لمكة، والتي تبعد عن ساحل البحر الأحمر بنحو ٧٠ كم في خط مستقيم، وإذا كان حجاج البر أو الجو يُحْرِمون عند تلك المواقيت أو بمحاذاتها اذا قَدِموا فيما بينها، فإن حجاج البحر يحرمون عند محاذاتهم أقرب ميقات بري (الجحفة في الشمال ويلملم في الجنوب)، بينما يحرم القادمون من الغرب مباشرة قبيل وصولهم للساحل بنحو عشرين كيلومتراً تجاه جدة الواقعة داخل نطاق المواقيت(٢٢) وعلى ذلك فإن الجبهة البحرية فيما بين رابغ ومحاذاة يلملم داخلة في نطاق الإحرام المحدد بالمواقيت والذي أصبح مُتَضَمِّناً لقطاع بحري غربي مُكَمِّل لكتلته البرية الرئيسية.

(ب) تقع ثلاثة من المواقيت على ثلاث من الجهات الأصلية تقريباً (ذو الحليفة في الشمال، وقرن المنازل في الشرق، ويلملم في الجنوب) واثنان على جهتين فرعيتين (ذات عرق في الشمال الشرقي والجحفة في الشمال الغربي)، وإذا تصورنا نقاطاً للإحرام بمحاذاة يلملم على الجهة البحرية وفيما وراء جدة داخل البحر، تكون مواقع المواقيت قد توزعت على معظم الجهات الأصلية والفرعية تقريباً، ومن خلف تلك المواقيت جميعاً يقدم الحجاج الى مكة من كل فج عميق من العالم، وهذه الخاصية الموقعية للمواقيت شاهد أكيد على عالمية الاسلام من خلال التنظيم الشرعي لنطاق الاحرام.

(جـ) تتقارب مسافات المواقيت الشمالية الشرقية والشرقية والجنوبية عن مكة، (بين ٧٠ ـ ٨٠ كم على خط مستقيم أو نحو ٩٠ كم حسب طول الطريق) بينما يتباعد موقعا الميقاتين الشمالي والشمالي الغربي، وإذا وصلنا بين مواقع المواقيت بخطوط أو أقواس تمثل خطوط المحاذاة التي ينبغي الإحرام عندها لمن يسلك طريقاً بين ميقاتين، فسوف تشكل تلك الخطوط قوساً أن نصف دائرة تقريباً مركزها مكة، وذلك فيما بين الشمال الشرقي (ذات عرق) والجنوب الغربي (محاذاة يلملم)، وأما فيما بين الشمال الشرقي والشمال الغربي

والغرب فيظهر ضلعا مثلث رأسه في الشمال (أبيار علي) ويرتكز على طرفي نصف الدائرة السابقة في الجنوب (باعتبار الجبهة البحرية تجاوزا امتدادا للخط بين أبيار علي ورابغ)، ويمثل الشكل السابق في مجمله الامتداد الشرعي الفعلي لنطاق الحل سابق الذكر.

ويمكن أن نجتهد في تفسير هذا الشكل بما يلي:

١ـ يتفق القوس شبه الدائري المار بالمواقيت مع الموقع المركزي والإشعاعي لمكة كقبلةِ صلاة، وكعبة حج لكل بقاع الأرض (شبه الكروية)، بل ويتفق أيضاً مع مسار نُسُك الطواف شبه الدائري حول الكعبة المشرفة

٢ـ المواقيت الداخلية لحجاج البر ـ باستثناء الميقات الشمالي ـ أقرب إلى مكة نسبياً عن المواقيت الساحلية لحجاج البحر، وعادة ما يكون السفر بالبر أشق منه عن طريق البحر، ولذلك فمن الأنسب والأيسر أن تقل المسافة التي يلتزم فيها حجاج البر بواجبات الإحرام عن تلك التي يلتزم فيها حجاج البحر بهذه الواجبات، وربما قضت الحكمة الإلّهية بذلك رفعاً للحرج وتيسيراً في أداء النسك.

٣ـ أما بُعْد الميقات الشمالي عن مكة (نحو أربعة ونصف أمثال مسافة المواقيت الداخلية) وقربه من المدينة (نحو ٦ كم) فله أكثر من وجهة تفسيرية:

- فالمدينة المنورة بالنسبة للحجّاج والمعتمر مزار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ٥، والزيارة سُنَّةٌ قبل الحج والعمرة أو بعدهما، والأفضل عند فقهاء السلف البدء بها لمن كانت المدينة في طريقه إلى مكة(٢٣) ، والمدينة بخصوصيتها الروحية التي تشبع زائرها إيماناً، لها حَرَمٌ حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ستة أميال من كل جهة(٢٤) ، أي نحو ١١.٥ كم ٥٥، وقد روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام جعل حول المدينة اثنى عشرة ميلاً حِمَى(٢٥) . فالمسافة الأولى نصف قطر الحرم والثانية قطر كامل. وهذا يعني أن الميقات الشمالي يقع داخل حرم المدينة، والمُحْرِم منه ينتقل في جوٍ إيماني متصل أرضا وقداسة إلى الحرم المكي.
- الميقات الشمالي يُمَدَّد من نطاق الحل المقدس لمكة صوب الشمال بما يتفق مع أركان الكعبة المستطيلة جهة الشمال (بإدخال الحطيم وحجر إسماعيل)، وكذلك مع حلقة

الطواف التي تتحدد هي الأخرى صوب الشمال حول حائط الحطيم فما بين الركنين الشامي والعراقي.

- يشير الشكل المثلثي الذي يرسمه الميقات الشمالي لنطاق الإحرام إلى اتساع وتزايد القداسة والحرمة كلما اتجهنا صوب مكة، أحب بلاد الله إلى الله ورسوله، كما قد تشير الرأس الشمالية لذلك المثلث المقدس إلى البقاع المقدسة للديانتين السماويتين السابقتين ـ طور سيناء والقدس، والتي رتبها القرآن الكريم من الشمال إلى الجنوب في ثلاث آيات: «والتين والزيتون. وطور سنين. وهذا البلد الأمين.»(٢٦) .

ثالثا: حدود الحرم المكي:

يتحدد الحرم المكي بمجموعة من الأنصاب أو العلامات البارزة على حدوده الخارجية في معظم الجهات، وتتفق الآثار على أن تحديد أنصاب الحرم تَمَّ عن طريق ملائكة الرحمن، أو جبريل عليه السلام بصفة خاصة، لكنها تختلف في زمن ذلك التحديد، ويرتبط الاختلاف هنا بزمن بناء البيت الحرام لأول مرة، فمن المفسرين من ذكر أنه بُنِيَ زمن آدم عليه السلام، ومنهم من ذكر أنه بُنِيَ زمن إبراهيم عليه السلام(٢٧) .

وعلى الرأي الأول أورد الأزرقي (٢٨) أن آدم عليه السلام بعد أن بنى البيت الحرام بمساعدة الملائكة، وطاف حوله كما تطوف الملائكة حول العرش، خاف كيد الشياطين فاستعاذ بالله منهم، فأنزل الله الملائكة فأحاطت بالبيت من جميع الجهات ووقفت في حدود الحرم الحالية والتي بينها الرسول عليه السلام، ويضيف الأزرقي أن البيت اندثر بعد طوفان نوح ولكن مكانه ظل ظاهراً فساق الله إبراهيم عليه السلام ليرفع قواعده مرة أخرى.

وعلى الرأي الثاني يصادفنا ما روى عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن محمد الأسود، أن أول من نَصَّبَ الأنصاب ابراهيم، أراه جبريل، صلى الله عليهما. وكذلك حديث ابن عباس أن جبريل عليه السلام أرى ابراهيم موضع أنصاب الحرم فنصبها، ثم جددها اسماعيل، ثم قصى ابن كلاب، ثم الرسول عليه السلام، فلما ولى عمر بن الخطاب بعث بأربعة من قريش فنصبوا الحرم(٢٩) . وأضاف ابن عابدين أن عثمان أمر بتحديدها، وكذلك فعل معاوية(٣٠) . ومن الطبيعي أن الاهتمام بتجديد الأنصاب والمحافظة عليها استمر قائما طوال فترات التاريخ

الإسلامي حتى اليوم. واعتنى الفقهاء بتحديد حدود الحرم ومسافاتها عن مكة بناء على تلك الأنصاب والتي حددت في ستة جمعها هذان البيتان من النظم(٣١) :

وللحرم التحديد من أرض طيبة   ثلاثة أميال إذا رمت اتقانه
ومن يمنٍ سبع عراق وطائف   وجدة عشر ثم تسع جعرانه

فإلى الشمال من مكة بثلاثة أميال على طريق المدينة يوجد علم الحرم عند التنعيم، وإلى الجنوب على طريق اليمن يوجد العلم عند أضاة لبن ٥ ، كما يوجد قبيل طرف عرفة (وادي عُرَنَة) على طريق الطائف في الجنوب الشرقي، وعند ثنيه رجل ٥ على طريق العراق في الشرق، وتقع الأعلام الثلاثة على بُعْد نحو سبعة أميال من مكة. أما حد الحرم جهة الغرب على طريق جدة فعلى بُعْد عشرة أميال عند الحديبية (الشميسى)، وحده من الشمال الشرقي عند الجعرانة ٥ ٥ على بُعْد تسعة أميال من مكة(٣٢) . ولكن إذا قيست المسافة المباشرة من المسجد الحرام إلى الأعلام السابقة على الخريطة التي حققها الباحث تصبح الأبعاد كالتالي بالكيلومتر: من الحديبية ٢٤، ومن جعرانة ٢١، ومن عرنة ١٥، ومن ثنية رجل ١٢، ومن أضاة لبن ١٢، ومن التنعيم ٦ كم تقريباً.

ومن التحديد الفقهي السابق لأنصاب وحدود الحرم المكي، ومن خلال توقيع الأنصاب والحدود على خريطة (انظر خريطة رقم ٢) يمكن أن نخلص إلى الملاحظات التالية:

أ- تقع أنصاب الحرم على الطرق الرئيسية الموصلة إلى مكة من جهة مواقيت الإحرام المكانية، و قد أعطاها هذا الموقع مَزِيّتين رئيستين:

١- الإحاطة بنطاق المسجد الحرام من جميع الجهات مثلما كانت إحاطة المواقيت به كاملة أيضا، وهذا يضمن تيسير الإحرام بالعمرة للمقيمين بمكة من أي جهة يقتربون منها ٥ ٥ ٥.

٢- يؤكد هذا الموقع لدى القادم إلى مكة للحج الإحساس بالانتقال المادي بين نطاقي الحل والحرم وبالتالي يترقى عنده الإحساس بدرجة القداسة.

ب - تتقارب أبعاد ثلاثة أعلام عن مكة بحيث يصنع حد الحرم المار بها قوساً بؤرته مكة، فما بين ثنية رجل وأضاة لبن مروراً بالطائف، ويكاد هذا القوس أن يوازى القوس المار

بمواقيت الإحرام بنفس الجهة فيما بين ذات عرق ويلملم مروراً بالقرن، وذلك لتقارب أبعاد تلك المواقيت عن مكة كما سبق.

جـ ـ يشذ عن الانتظام القوسي السابق حد الحرم بين الأعلام الثلاثة الأخيرة وذلك لتباين أبعادها عن مكة، فالحديبية أبعدها، تليها الجعرانة، بينما التنعيم أقرب الأعلام جميعاً. ولكل منها وجهته التفسيرية:

فالحديبية تقع صوب الجبهة البحرية الغربية، وقد ذكر أن ميقات إحرامها (البحري) أبعد من المواقيت البرية الداخلية.

٢ـ وربما اتفق امتداد الجعرانة نحو الشمال مع البعد الشمالي لميقات أبيار علي، أبعد المواقيت عن مكة.

٣ـ أما ضيق الحرم المكي إلى نحو ثلاثة أميال عند التنعيم على طريق المدينة فيؤكد اتصال وتداخل الحرمين المكي والمدني معاً، فهناك تداخل بين نطاقي الميقات الشمالي وحرم المدينة في نحو ثلاثة أميال جنوب أبيار علي، يقابله تداخل آخر بين نطاق ذلك الميقات وبين الحرم المكي ربما لمسافة نحو ستة أميال داخل المثلث الواقع بين التنعيم والجعرانة والحديبية.

رابعا: محور المناسك:

وهو يمتد إلى الجنوب الشرقي من المسجد الحرام وحتى مسافة نحو ١٩ كم في نفس الاتجاه متضمناً ثلاثة مناطق للمناسك التي تختص بأعمال الحج دون العمرة وأقرب تلك المناطق للمسجد الحرام منى، تليها مزدلفة، وأخيراً منطقة عرفة، وتؤدي في كل منها بعض أعمال الحج[٣٣] ، والتي ربما انعكست على تسمية المنطقة. في منطقة مِنًى ◦ يبيت الحجاج ليلة التاسع من ذي الحجة في طريقهم إلى عرفات، ثم يبيتون فيها ليالي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة (أيام التشريق) بعد الإفاضة من عرفات مروراً بالمزدلفة، وفي مِنَى ترمى الجمار، وينحر الهَدْي، وإن كان يجوز نحره في مكة، أما مُزْدَلَفة ◦ ففيها المشعر الحرام، ويسن المبيت بها ليلة العاشر من ذي الحجة (يوم النحر) بعد الدفع من عرفة، وفي عرفات ◦ ◦ يكون الوقوف من زوال شمس يوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر يوم العاشر ويكفي الحاج

وقوف لحظة تمتد إلى غروب شمس التاسع. والوقوف بعرفة أهم أركان الحج لقول الرسول عليه السلام فيما رواه ابن ماجة وأبو داود «الحج عرفة».

وقد شرع الله تعالى نسك الحج بتلك المناطق الثلاث في أوقاتها وبكيفياتها المعلومة حينما بعث ملكه جبريل إلى نبيه ابراهيم عليهما السلام فحج به وعلمه المناسك، كما فَصَّل القرآن الكريم تلك الأعمال في ثلاث من آيات سورة البقرة(٣٤) ، وقد حدد الرسول عليه الصلاة والسلام الحدود المكانية السابقة في سنته القولية والفعلية، كقوله عليه السلام محدداً عرفة ومزدلفة ومنى: «عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عُرَنَة، وجَمْع مزدلفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن مُحَسِّر، وفجاج منى كلها منحر»(٣٥) ، كما قال عليه السلام في حجة وداعه: «خذوا عني مناسككم». ولقد استند الفقهاء إلى تلك النصوص والآثار الشرعية في تبيان حدود المناطق السابقة بالمحور ووضعوا العلامات والأنصاب عليها.

ومن الخريطة (رقم ٣) يمكن إبراز أهم المعالم المكانية لمحور المناسك ومناطقه. فالمحور يتمدد فوق أراض بين جبلية يترواح منسوب أوطئها بين ٢٠٠ـ٣٠٠ متر فوق سطح البحر، على حين تحيط بها مجموعة من السلاسل الجبلية التي يصل قمم بعضها إلى ٨٠٠ متر فوق سطح البحر خاصة على الجانب الشمالي الشرقي للمحور حيث تقع جبال ثَقَبة، والقويس، وحارة قريش، والأحدب، وخشرب، وجبل سعد، وعلى الجانب الجنوبي الغربي يظهر جبل الصفائح وجبل حقابة (+ ٤٠٠ متر) وقد تتباعد تلك السلاسل لتتسع مناطق المناسك، كما قد تتقارب ويظهر بينها بقع جبلية وتليه منها جبال الأخشبين، والسعراء، بحيث لا تترك سوى ممرات ضيقة (مأزم) تصل بن مناطق المناسك.

ويفصل منطقة مِنَى عن المسجد الحرام براح من الأرض في مسافة نحو ٤.٥ كم يسمى في بعضه بالمُحَصَّب ◦. على حين تمتد منطقة مِنَى من موقع جمرة العقبة(٣٦) (الكبرى) صوب الكعبة إلى وادي مُحَسِّر() صوب عرفة في مسافة نحو ٣.٥ كم في خط مستقيم باتجاه المحور، وتتسع أراض مابين الجبال هنا في الشمال الشرقي فيما يعرف بالشعبتين، لتضم مساحة إضافية لمِنَى بحيث يصل عرضها إلى نحو ٣ كم قرب مزدلفة. أما مزدلفة فتمتد من وادي مُحَسِّر السابق حتى المأزمين ◦◦◦ صوب عرفة في نحو ٣.٢٥ كم. وإلى الجنوب الغربي من خط المأزمين تقع

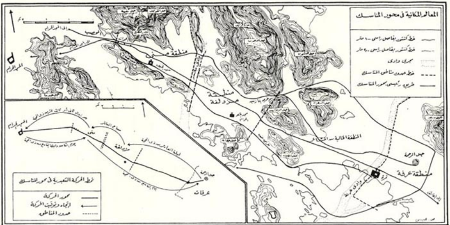
المعالم المكانية فى محور المناسك
خط كنتور بفاصل رأسى ١٠٠ متر
خط كنتور بفاصل رأسى ٢٠٠ متر
مجرى وادى
خط حدود مناطق المناسك
طريق رئيسى بمحور المناسك
منطقة منى
منطقة مزدلفة
المنطقة الخالية بين المناسك
جبل الرحمة
منطقة عرفة
المسجد الحرام
خط الحركة التعبدية فى محور المناسك
محور الحركة
اتجاه وتوقيت الحركة
حدود المناطق
المسجد الحرام
منى
مزدلفة
عرفات
ليلة العاشر من ذى الحجة
يوم التاسع من ذى الحجة

المصدر: خريطة الطبوغرافية [illegible] سنة ١٩٨١ مقياس ١ : [illegible] ، لوحة مكة ، ووضعت حدود المناطق [illegible] والمعالم الطبيعية والاستعانة بخرائط [illegible] وزارة الإعلام [illegible] وكتابات الرحالة [illegible] .

محور مناسك الحج ومناطقه

شكل (٣)

منطقة فاصلة خالية من المشاعر لكنها موصلة بين مزدلفة وعرفة في مسافة نحو ٥.٥ كم. وهي داخلة في نطاق الحرم المكي. إلا يفصلها عن منطقة عرفة وادي عُرَنة. وإلى الشرق منه تبدأ عرفة حيث يوجد جبل الرحمة والذي يبعد عن المسجد الحرام بنحو ١٨ كم. ولكن عرفة كلها واقعة خارج الحرم.

من خلال العرض السابق يمكن أن نخلص إلى بعض الملاحظات حول الأبعاد المكانية لمحور المناسك:

أ ـ ترتب على امتداد محور المناسك إلى الجنوب الشرقي من المسجد الحرام أن أصبح الحجاج في مناطق المناسك الثلاثة وخلال حركتهم فيما بينها يولون وجوههم في الصلاة شطر الشمال الغربي حيث الكعبة، وحيث يواجهون ركن الحجر أشرف أركانها، ومبدأ الطواف ومنتهاه، كما أن نفس الاتجاه هو مبدأ المسعى بين الصفا والمروة، وهذا يؤكد من جديد أهمية ركن الحجر في كل أعمال الحج.

ب ـ يهيء وقوع أماكن المناسك بين حواف جبلية يتحرك الحجيج بين مسالكها، يهيء ذلك لهم معايشة إيمانية متجردة لله، زاهدة في زخرف الدنيا، متأملة عظمة وشموخ الخالق (مبدع تلك الجبال)، متيقنة من ضعف الانسان وهوان غروره(٣٧) وكل هذه المعايشة ترقى بالمسلم التائب إلى ربه في هذه الرحلة الإيمانية إلى مراتب عالية من الإحسان.

جـ ـ يتوافق تمييز حدود مناطق المناسك ببطون بعض الأودية (مُحَسِّر وعُرَنَة) وعدم جواز التنسك فيها، مع ما توحيه المعرفة الجغرافية للخصائص المميزة للأودية عموماً، فمعروف أن مكوناتها منقولة، أي ليست أصيلة في المكان، بخلاف الجبال التي تظل محافظة على أصالتها، فإذا كانت للمكان حرمة، فأصالة الجبال تحدد نطاقها، ومع ذلك فإن امتداد الأودية ثابت بثبات الجبال التي تقع حولها، فهي تصلح حدوداً باقية بقدر ما لا تصلح للتعبير عن أصالة المكان. وهنا قد يشار أيضاً إلى أهمية اتخاذ مآزم الجبال حدوداً باقية لمناطق المناسك.

د ـ هناك انسجام بين ترتيب وهيئة المكان في محور المناسك من جانب، وبين حركة الحجيج فيما بين مناطقه، ووظيفة كل منطقة من جانب آخر:

١ ـ فمن حيث انسجام ترتيب المكان مع حركة الحجيج (انظر شكل ٣) يلاحظ أن:

ـ منى بمثابة مبيت واستراحة مرحلية في طريق الذهاب من الحرم إلى عرفة، ثم في طريق العودة من عرفة إلى المسجد الحرام.

ـ مزدلفة لغة ممر مسائي واستراحة في طريق العودة من عرفات إلى منى.

ـ عرفات نهاية لأماكن المناسك، والمحطة الحاسمة التي لا بد من الوقوف بها في الحج، فهي موقف كما سماها الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢ـ ومن حيث انسجام هيئة المكان مع وظيفته التعبدية في محور المناسك يلاحظ أن:

ـ عرفة كمحطة أخيرة للحركة هي أرض تقبّل التوبات وتنزّل الرحمات (جبل الرحمة) يأتيها الحجيج من الحرم مروراً بين الجبال، واجتيازاً لمآزمها، بعيدا عن مظاهر المادية، حتى يصلون إلى رحبة واسعة تتقهقر عنها حواف الجبال، وتقع خارج الحرم، ورغم موقعها في الحل فالحاج منشغل بالدعاء والتوبة وطلب الرحمة وأسباب الجنة، وقد يوحي رحب وسعة المكان(٣٨) ، بعد المرور في المضائق والمآزم بحلول الرحمة والسعة من الله الذي ينظر إلى الحجيج الشُّعْث الغُبْر (من السفر والإجهاد) ويباهي بهم الملائكة. والموقف ككل لقاء بين الرب وعباده خارج حرمه الآمن، كموقف ندم واستغفار، وتوبة وغفران، ولذلك كان الحج عرفة.

ـ مزدلفة أرض ازدلاف، فكما تتجمع عند مآزمها طرق الحج، يتجمع فيها الحجيج في زلف بعد توبتهم بموقف عرفات، ليؤكدوا ذكرهم الدائم لله، ومحاربتهم لعدوهم الشيطان، فمن مزدلفة يبدأ الاستعداد لهذه المهمة التي تتركز أساساً في منى. فالاستعداد لذكر الله(٢٩) بمنى يبدأ بذكر الله عند المشعر الحرام، والاستعداد لمحاربة الشيطان يبدأ بجمع الحصى من مزدلفة لرمي الجمرات في منى. وهذه الوظيفة المرحلية أو المِعْبَرية لمزدلفة تتناسب مع موقعها الوسيط بين عرفة كموقف، ومنى كمستقر.

ـ منى ـ أقرب مناطق المناسك من المسجد الحرام ـ محلٌ لذكر الله في أيام التشريق، فمنها يذهب الحجيج لطواف الإفاضة ثم يعودون إليها، وهي محل لشكر الله على توفيقه العباد إلى الحج، ورزقه إياهم من الأنعام وذلك بذبح الهدْي، كما أنها محل لمحاربة الشيطان برجم الجمرات الثلاث، ومنى مجتمع ومستقر لكل الحجيج، وصفها

الرسول عليه السلام بالرحم تتسع لمن فيها، فرغم إحاطتها بالجبال، إلا أن تراجع الحواف وظهور الشعاب والفجاج فيما بينها يوفر جيوباً صالحة للإقامة في وديانها وسفوح جبالها(٣٠) ، وعلى صخور الجبال المحيطة تنعكس أشعة الشمس وتتجمع في منى ليتصبب العرق الغزير، ويذهب معه ما تبقى من أدران البدن، ويظل الإشراف المباشر للجبال على أرض منى مذكراً للحجيج بالتخفف من تعقيدات الحياة المادية والاستمتاع ببساطة وصفاء الفطرة.

الخاتمة:

تبين من تحليلنا لعناصر النظام المكاني لأعمال الحج أن الحكمة الالّهية قد هيأت لتلك العناصر من الخصائص ما ذكرناه، ومالاً يحيط بعلمه إلا الله تعالى، بحيث يؤدي هذا النظام وظائفه الروحية التعبدية إذعانا لله، وطهارة للنفس، ونقاء للروح، فكما قال عليه السلام: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه...

ويحسن في خاتمة البحث التأكيد على الاستخلاصات التالية:

- النظام المكاني العام لأعمال ومناسك الحج في تدرجه وحلقيته وإشعاعيته، يناسب عالمية الدين الإسلامي من جانب، كما يناسب تدرج الدين وانسجامه مع فطرة الإنسان من جانب آخر.
- في تحديد حدود الحرم المكي من قبل الله تعالى، ضمان بأن تظل لبيته الحرام إمامته للناس وأن يبقى ملاذاً روحياً في هذا العالم المضطرب المتأزم، وقد حددت الحدود بحكمة الله، وهي تؤدي وظيفتها تماماً في نسك الحج والعمرة، فلا هي مشقة لمن يريد الاعتمار من أهل مكة، ولا هي ضيقة، تضيق بمن يفد إليها من مريدي التعبد والأمان من عبادالله المسلمين.
- حدد الرسول عليه السلام مواقيت الإحرام تهيئة لذلك النطاق الانتقالي في الحرمة والإحرام، وبالتالي الاستعداد الروحي للدخول في العبادة التي يخرج منها المسلم مغفور الذنوب، وهي أيضا العبادة الوحيدة التي تجب عليه مرة واحدة في العمر، ولذا وجب

الاستعداد الكامل لها، والاستغراق التام في أدائها.

- يناسب محور المناسك في أقسامه وخصائص هيئته مع وظائفه التعبدية، وانتظام حركة الحجيج بين مناسكه، بحيث تتحصل عن طريق المعايشة التعبدية خلاله التجرد والفرار إلى الله بالتوبة الصادقة إليه تعالى.

وقبل كل ما سبق وبعده، فاذا كان من المحصلات المستهدفة لنسك الحج هي تقوى القلوب، فإن أداء النسك طاعة لله، والتزاماً بحدوده، وتعظيماً لحرماته وشعائره، يحقق تلك المحصلة، وذلك من قوله تعالى في سورة الحج، الآية ٣٠: «ذلك وَمَنْ يُعَظِّمْ حرماتِ الله فهو خيرٌ له عند ربه». والآية ٣٢: «ذلك وَمَنْ يُعظِّمْ شعائرَ اللهِ فإنَّها من تَقْوى القُلُوبِ».

●●●

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم. وبعض تفاسيره
٢ ـ الفقه على المذاهب الأربعة.
٣ ـ ابراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين ـ أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره، القاهرة ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م الجزء الأول.
٤ ـ ابن منظور، لسان العرب.
٥ ـ أبو اسحاق الحربي، كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، منشورات اليمامة ـ الرياض ـ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م.
٦ ـ أحمد الاسلامبولي، تحفة الناسك في بيان المناسك، مراجعة وتعليق عبد اللطيف فرفور، دمشق، ١٩٧٠ م.
٧ ـ الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة، الجزء الأول.
٨ ـ صلاح عبد الجابر عيسى، حول منهج لجغرافية الإسلام، بحث مقدم للنشر، رجب ١٤٠٤ هـ/ابريل ١٩٨٤ م.
٩ ـ عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.
١٠ ـ عبد العزيز المحمد السلمان، أوضح المسالك إلى أحكام المناسك. الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٢ هـ
١١ ـ عبد العزيز بن باز، الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة. دار عكاظ، الطبعة العشرون.
١٢ ـ عبدالله بن خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، الرياض. ١٣٩ هـ/١٩٧٠ م.
١٣ ـ عبد المعز الجزار، مناسك الحج والعمرة، ملحق الأزهر، ذي القعدة ١٤٠٢ هـ
١٤ ـ وزارة الأوقاف الكويتية، رسالة الحج، عن مجلة الوعي الإسلامي «بدون تاريخ».
Sopher, D.E., Geography of Religions, London, 1967.

الخرائط :

١ ـ حسين حمزة بندقجي، خريطة مكة المكرمة ودليل الحج. جدة ١٤٠١ هـ
٢ ـ محمد زكي فارس، خريطة مكة والمشاعر. جدة ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ
٣ ـ وزارة البترول والمعادن السعودية، الخريطة الجيولوجية للمملكة ١ : ٥٠٠,٠٠٠ لوحة أ ٢١٠ الحجاز الجنوبي.
٥ ـ وزارة الشئون البلدية والقروية السعودية، لوحة مكة المكرمة مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ عن الصور الجوية ١٩٨١.

الهوامش والتعليقات

(1) Sopher, D.E., Geography of religions, London, 1967.

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ـ كتاب الحج.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

(٤) سورة الحج، الآية ٢٨. انظر التحديد في الآية بأحد التفاسير.

(٥) الفقه على المذاهب الأربعة، المرجع السابق

(٠) زيارة مسجد الرسول سنة في الحج والعمرة، وقد يفصلها بعض الفقهاء عن أعمالها ويميزها بالزيارة فقط.

(٦) صلاح عبد الجابر عيسى. «حول منهج لجغرافية الإسلام» بحث مقدم للنشر. رجب ١٤٠٤ ـ ابريل ١٩٨٤.

(٨) أحمد الاسلامبولي، تحفة المناسك في بيان المناسك، مراجعة وتعليق عبد اللطيف فرفور، دمشق ١٩٧٠ ص ٢٢ـ٢٥.

(٩) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، انظر تفسير الآيتين ١٢٥، ١٢٧ من سورة البقرة.

(١٠) وزارة الأوقاف الكويتية، رسالة الحج، بدون تاريخ ص ٦٤. وتذكر نشرة لوزارة الاعلام السعودية سنة ١٤٠٤ هـ أن مساحة الحرم حاليا ١٦٠١٦٨ متر٢ ، ولعلها تُدْخِل في ذلك مسطحات الدور الأرضي والعلوي في الجزء المغطى.

(٠) الصفا جمع صفاة وهي الحجر العريض الأملس، والمروة واحد المرو، وهي حجارة بيض ـ أنظر لسان العرب.

(١١) سورة العنكبوت، آية ٦٧.

(١٢) عبد العزيز المحمد السلمان، أوضح المسالك إلى أحكام المناسك، الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ، ص ٤١.

(١٣) أبو اسحاق الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، منشورات اليمامة ـ الرياض ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م، ص ٣٤٧ـ٣٤٨.

(١٤) الاسلامبولي، المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٥) كانت ذات عرق قرية صغيرة عند جبل عرق على وادي العقيق، وكذلك كانت الجحفة قرية تجحفها السيول، وذو الحليفة موضع ماء لبنى جشم، والحليفة هي الشجرة، وقرن جبل مشرف على عرفات، ويلملم جبل من تهامة والسعدية بئر فيه ـ انظر الفقه، والحربي.

(١٦) الحربي، المرجع السابق، ص ٣٤٩، ص ٤٢٥.

(٭) المرحلة مسافة تقديرية تساوي مسير يوم أو ليلة بسير الابل المحملة بالاثقال سيراً معتاداً، وهي نحو ٨ فراسخ أو ٢٤ ميلاً أو ٤٥,٦ كم. انظر الفقه على المذاهب الأربعة، مبحث قصر الصلاة.

(١٧) عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(١٨) نفس المرجع السابق ص ٣٢، ص ٣٢٨.

(١٩) انظر الفقه على المذاهب الأربعة، مبحث مواقيت الاحرام.

(٢٠) عبد المعز الجزار، مناسك الحج والعمرة، ملحق مجلة الأزهر ـ ذي القعدة ١٤٠٢ هـ ـ ص ٣٨.

(٢١) استعان الباحث في توقيع المواقيت بالخريطة الجيولوجية مقياس ٥٠٠,٠٠٠/١ لوحة أ ٢١٠ عن الحجاز الجنوبي.

(٢٢) عبد العزيز بن باز، الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة، دار عكاظ ـ الطبعة العشرون ص ١٧.

(٭) بالمدينة مزارات مستحبة هي قبر الرسول عليه السلام، ومسجد قباء، والبقيع وشهداء أُحُد. انظر ابن باز، المرجع السابق ص ٧٠ ـ ٧٣

(٢٣) وزراة الأوقاف الكويتية ـ رسالة الحج ـ مرجع سابق ص ٥٢

(٢٤) وردت عدة أحاديث عن ذلك منها حديث أبي هريرة أن رسول الله عليه السلام قال: ما بين لابتيها حرام، وحديث علي مرفوعاً: حَرَمُ المدينة ما بين ثور إلى عير. وهما جبلان (السلمان ص ١٤٨) وحديث مالك أن النبي حرم ما بين لابتى المدينة إلى عير، إلى ثنية المحدث، إلى ثنية الحفياء، إلى مضرب القبة، إلى ذات الجيش، وبينها وبين المدينة ستة أميال، انظر الحربي ص ٤٠٦. (واللابة هي الحرّة على الجبال المحيطة) وانظر أيضاً، ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين، القاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م. الجزء الأول ص ٤٤٧ ـ ٣٣٨.

(٭٭) الميل في الاستخدام الفقهي يساوي ثلث (١/٣) فرسخ ونحو ١,٩ كم.

(٢٥) عبد العزيز السلمان، ص ١٤٨، وقد يفهم من هذا الحديث أيضا أن الحمى نطاق أوسع من الحرم، لكننا نرجع اعتبارها نطاقاً واحداً كما أشير أعلاه.

(٢٦) سورة التين، الآيات ١، ٢، ٣.

(٢٧) انظر تفسير آيات: «ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً»، «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل». في تفسير ابن كثير، وتفسير المنار مثلاً».

(٢٨) الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة ـ الجزء الأول، ص ٣٥٥.

(٢٩) الحربي، المرجع السابق، ص ٤٧٢.

(٣٠) الاسلامبولي، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣١) نفس المرجع.

(٭) الأضاة مجتمع الماء، وأضاة لبن، جبل طويل له رأسان، والأضاة تحته، انظر عبدالله بن خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز، الرياض ١٣٩٠ هـ، ص ٣٢٢.

(٭) يطلق عليها البلادي ثنية خل على طريق نخلة اليمانية، ويشرف عليها جبل المقطّع وهو منتهى الحرم، انظر البلادي، معالم مكة، ص ٢٨٢.

(٭٭) ذكرها أكثر المتقدمين بين مكة والطائف، أي في الجنوب الشرقي، وهذا بخلاف الصواب، البلادي ص ٦٥.

(٣٢) السلمان، المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٭٭٭) رتب الفقهاء أفضلية بعض الأعلام في الإحرام منها للعمرة وفقاً لما ثبت لهم من السّنة، فعند الحنفية والحنابلة التنعيم ثم الجعرانة، والعكس عند المالكية والشافعية. انظر الفقه على المذاهب الأربعة.

(٣٣) انظر الفقه على المذاهب الأربعة: كتاب الحج ـ مباحث الأركان والواجبات والسنن.

(٭) سميت منى هكذا لما يُمْنَى فيها من الدماء (أي يراق) يوم النحر وما بعده، ابن منظور، لسان العرب.

(٭) سميت مزدلفة هكذا من ازدلاف الحجيج إليها، أي مجيئها في زلف (ساعات) من الليل، وتسمى أيضاً جمعاً لاجتماع الحجيج بها. وجمعهم صلاتي المغرب والعشاء بها، انظر ابراهيم رفعت جـ (ص ٣٣١، ابن خميس ص ٢٩٧.

(٭٭) عرفات هي عرفة ـ مفرد على صيغة الجمع ـ وسميت هكذا وقت أن علَّم جبريل عليه السلام ابراهيم الخليل الحج وصلا عرفة فقال له الخليل عرفت ـ حيث أنه أتاها من قبل ـ على قول علي بن أبي طالب وعطاء. انظر تفسير ابن كثير ـ الآية ١٩٨ من سورة البقرة، وان كان قد قيل في معناها تسعة أقوال، ابن خميس ص ٢٩٠.

(٣٤) الآيات: ١٩٨، ١٩٩، من قوله تعالى: «فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، والآية ٢٠٣ في قوله تعالى: «واذكروا الله في أيام معدودات». انظر أحد تفاسير القرآن الكريم لهذه الآيات.

(٣٥) انظر، ابن خميس، المجاز، المرجع السابق ص ٢٩٤.

(٭) قيل هو براح يقع بأعلى مكة من الحجون إلى منى، وسمى كذلك لوجود الحصباء به، وقيل هو موضع رمي الجمار، ويرجع ذلك البلادي. انظر البلادي، المرجع السابق ص ٢٥٢، ابراهيم رفعت ص ٣٣٨.

(٣٦) هذا هو الأرجح من قول العلماء، وان كان الشافعي والنووي يريان أن جمرة العقبة والوسطى ليستا من منى، انظر ابراهيم رفعت، جزء ١ ص ٣٢٢، ابن خميس ص ٣٠٢.

(٭٭) هو وادي يخرج من جبل القويس في الشمال ويتجه جنوباً ليصب في عرنة، البلادي، ص ٢٤٨، وعرضه نحو ٢٧٥ متراً، وسمي كذلك لأن فيل أبرهة حسر فيه (أي عجز) انظر الفقه على المذاهب الأربعة، ويقال له وادي النار، ولا يرجع ابن خميس القول السابق بقوله أن الفيل قد هلك في وادي المغمس، انظر ابن خميس ص ٣٠١.

(٭٭٭) المأزم لغة الطريق الضيق، والمأزمان هنا جبلان بينهما طريق وهما الأخشبان والقرن الجنوبي للأحدب، وعرض طريق المأزمين هذا نحو ٥٠ متراً، ويوجد طريق أقصر من السابق يلازم القص الجنوبي للأخشبين (جبل الضرس) يعرف بطريق ضب، والطرق هنا عموماً مآزم فعلية، انظر رفعت، ص ٣٤٠، ابن خميس ص ٢٩٦.

(٭) من أكبر أودية مكة، ويرسم قوساً من طريق نجد شرقاً حتى جنوب مكة بنحو ١١ كم غرباً ويضيق عرض الوادي في قطاعه الموازي لعرفات إلى نحو ٢٠٠ متر بينما تصل المسافة المحيطة به فيا بين علمي الحرم وعلمي عرفة ١٥٥٣ متر، انظر رفعت ث ٣٤١.

(٭٭) المسافات السابقة استخرجها الباحث من الخريطة على طول خطوط مستقيمة فيا بين حدود المناطق.

(٣٧) قد يُذَكِّر هذا الموقف بقول الحق تبارك وتعالى في سورة الاسراء آية ٣٧: «ولا تمش في الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً».

(٣٨) تزيد مساحة ميدان عرفة عن ٨ كم^{٢}.

(٢٩) المقصود بذكر الله هنا ما خصته الآية الكريمة: «واذكروا الله في أيام معدودات» البقرة، الآية ٢٠٣.

(٣٠) تبلغ مساحة أرض منى تحت كنتور ٤٠٠ متر نحو ٥ كم^{٢} ، ومساحة سفوح جبالها حتى خطوط تقسيم المياه نحو ٣ كم^{٢} ، وذلك من واقع الخريطة الطبوغرافية للمنطقة.

* * *